﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝١١١﴾ [المؤمنون: 110 - 111]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ذاك حالُ عبادِ اللهِ إيمانًا واستغفارًا، ولكنّ موقفَ الكفّار كان مُنكَرًا

لمّا زُجِرَ أصحابُ النّارِ ومُنِعوا عن الكلام والاعتذار؛ ناسب أن يُذكر هنا بعضُ ما لأجله عُذِّبوا وبَعُدوا من الخير، وهو ما عاملوا به المؤمنين[1]، وكان في هذا إغاظتهم بمقابلة حالهم يوم العذاب بحال الذين أنعم الله عليهم، وتحسيرهم على ما كانوا يعاملون به المسلمين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: أصل كلمة (اتَّخذ) من (أخذ)، والأخذ: هو حَوز الشّيءِ وجَبْيُه وجمعُه، خِلافُ العطاء[3]، واتّخذ: افتعل الأخذ[4]، والافتعال: بذلُ جهدٍ في الأخذ[5] أو القصد إليه، والاتّخاذ يقتضي مفعولَيْن، ويجري مجرى الجَعْل[6]، ومعنى ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾؛ أيْ: جعلتم منهم سُخريةً بقوّةٍ وعُنفٍ.

2) ﴿سِخْرِيًّا﴾: من الفعل (سَخِر) المُتعدّي، ويعني: احتقر واستذلّ[7]، ويتعدّى بحرف (من)، ومصدرُه السّخريّة، ومعنى كلمة ﴿سِخْرِيًّا﴾ في الآية: موضع احتقارٍ ومهانة.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 298.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/129.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).
(4) الرّاغب، المُفردات: (أخذ).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أخذ).
(6) الرّاغب، المُفردات: (أخذ).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/ 144.

3) ﴿أَنسَوْكُمْ﴾: النِّسيانُ ضِدُّ التّذَكّر، وهو عدم استحضارِ شيءٍ كان في الذِّهن، "نَسيَ فلانٌ شيئًا كان يَذْكُرُهُ"[1]، ومطلقُ النّسيانِ سهوٌ، وهو بغير قَصْد، ومنَ النِّسيان: إغفالُ الشّيءِ وإهمالُه، ومنَ النِّسيان أيضًا تركُ الشَّيء، و"النِّسْيُ: ما سَقَطَ من مَنازِلِ المُرْتَحِلينَ من رُذالِ أَمتِعَتِهم"[2]، ومعنى ﴿أَنسَوْكُمْ﴾ هنا: جعلوكم تنسون ذِكْري.

4) ﴿تَضْحَكُونَ﴾: أصل كلمة (ضحك): بَرَز وانكشف[3]، فالأسنان تبرُز حين الضَّحِك، والسّحابُ العارضُ ضاحِكٌ، وضَحِكُ الإنسانِ: هو انبساطُ الوجهِ وتَكَشّر الأسنان من السُّرور[4] والفَرَح[5]، ومعنى ﴿تَضْحَكُونَ﴾ في الآية: تتفكّهون.

5) ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾: (الجزاء) من الفعل (جزى)، وهو قيام الشّيء مَقامَ غيرِه، ومكافأتُه إيّاه، يُقال: جَزَيتُ فلانًا جزاءً، وجازيتُه مُجازاةً[6]، وجزى الشّيءُ: كفى، وجزى عنك الشَّيءَ: قضى[7]؛ فالجزاءُ ما فيه الكفاية[8]، ومعنى ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾ في الآية الكريمة: كافأتُهم وآجَرتُهم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تقول الآية: فكان حالُكم أيّها الكفّار معهم أنّكم استهزأتُم بهم، وكنتم تتخذونهم محلَّ تَفَكُّهٍ وضَحِك، وكلّ ذلك شَغَلَكم عن النّظر في الحَقّ والإيمان به؛ فنسيتُم ذِكْري، فما هو حال عبادي اليوم؟ إنّهم - بتحمّلهم وثباتهم على الحقّ - هم الفائزون، ينالون الجزاءَ

الكفّار يستهزئون من عباد الله، وما الفائزُ إلّا مَن آمن بالله

(1) الخليل، العين، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (نسي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضحك).
(4) الرّاغب، المُفردات: (ضحك).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضحك).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جزي).
(7) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (جزى).
(8) الرّاغب، المُفردات: (جزى).

الأوفى، وماذا عن جزائكم أنتم بكفركم واستهزائكم؟ وأيٌّ من الفريقيْن الفائز؟![1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في صدرِ الآيةِ:

تصدّرت الآية ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بحرف الفاء، والفاء للتّرتّب والتّعليل؛ أي: اسكتوا عنِ الدّعاء بطلب الإخراج من العذاب؛ لأنّكم كنتم تستهزئون بالدّاعين بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾[2]، وما بعد الفاء من شأنه أن لا يترتّب على ما قبلها؛ فهذا التّرتيب من باب ترتيب شيءٍ على شيءٍ لا يترتَّبُ عليه، وهذا يُصوّر عظيمَ جُرْمِ هؤلاء وضلالِهم.

الإفصاحُ عن ترتُّب إسكاتِهم في عذاب النّار على سُخريتهم من عباد الله

سِرُّ اصطفاءِ لفظ الاتّخاذ مادّةً وصيغةً:

عبّر القرآنُ بلفظ الاتّخاذ في قوله: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾؛ لسِرٍّ بديع؛ فمادَّةُ (اتّخذ) من (أخذ) ضِدّ (أعطى)[3]، وهو ما يُشير إلى معنى بَدء شيءٍ وتعاطيه أخذًا لا منحًا، فهؤلاء تعاطَوا شيئًا قبيحًا فُعِلَ بقصْدٍ، يدلُّ على ذلك الألفُ والتّاء المضافةُ إلى فعل (أخذ)، وفي استعمال فعل (اتَّخذتُموهم) مُتعدّيًا إلى مفعولَيْن، بحمل معنى الاتّخاذ على معنى الجَعْل[4]؛ أيْ: جعلتُموهم سِخريًّا، فسُلِّط الاتّخاذ على المصدر للمُبالغة في الاتّخاذ[5]، وكلّ هذا يُصوّر القصدَ السَّيّء والجهدَ المبذول في سبيل الحَطِّ من شأن عباد الله.

في اتّخاذ الكافرين المؤمنين سُخريًّا قَصْدٌ ومبالغةٌ في الكيد

سِرّ اختيار ﴿سِخْرِيًّا﴾ مادّةً وصيغةً:

عبّر القرآنُ بلفظ ﴿سِخْرِيًّا﴾؛ للدّلالة على الخِفّة والانقياد بيسرٍ دونَ مقاومة[6]، وهو فعلٌ لازمٌ؛ فإذا تعدَّى بحرف (من)؛ صار بمعنى

اتّخاذُ كلِّ الأسباب لجَعْل عبادِ الله مَحلَّ احتقارٍ وخِفَّة وازدراء

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 66.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 152، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 66.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).
(4) الرّاغب، المُفردات: (أخذ).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 129.
(6) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (سخر).

الاستخفاف للانقياد[1]؛ أيّ: جَعْلُ الآخَرِ محلّ خِفّة؛ كأنّ رغبةَ هؤلاء الكُبراءِ هي أن يُطيعَهم عبادُ الله في كلّ شيءٍ، ويخضعوا لهم ولو في معتقدهم، أو يتّخذوهم محلَّ استهزاء وازدراء، وجاء لفظ ﴿سِخْرِيًّا﴾ في صيغة مصدرٍ منسوبٍ إلى السّخر بياء النّسبة، والنّسبة تزيد الفعل قوّة[2]، إذ قُصِدَ بها المبالغةُ في حصول السّخر[3]؛ فاجتمعت مادّةُ ﴿سِخْرِيًّا﴾ وصيغتُها في تعميق النّظر إلى عباد الله بكلّ صورِ الخِفّة والاحتقار، واتّخاذ الأسبابِ للاستخفاف بهم.

التّوجيه البلاغيُّ لقراءتي ﴿سِخْرِيًّا﴾:

في كلمة: ﴿سِخْرِيًّا﴾ قراءتان متواترتان؛ فقد قرأ نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو جعفرٍ وخَلَفٌ ﴿سُخْرِيًّا﴾ بالضّمّ، وتدلّ على معنى السُّخرية، كما تدلّ على معنى التّسخير، بينما قرأ الباقون ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالكسر؛ وهي على معنى السُّخرية خاصَّة[4]، ويُفهَم من هذا التّنوّع في القراءات أنّ أصحابَ النّار كان مطمَحُهم الاستهزاءَ من عباد الله وطلبَ انقيادِهم واستسلامِهم؛ ليَتِمَّ تسخيرُهم لما يَخْدِم مصالحَهم.

استهزاءُ أصحابِ النّار من عباد الله ورغبتُهم في ردّ هؤلاء سَخَرَةً لديهم

دلالةُ حرفِ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في الآية:

عبّر القرآنُ بحرف ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾؛ ليَدُلّ على نهاية محدّدة؛ فقد اتخذتموهم سخريًّا إلى هذه الغاية، وهي نسيان ذِكْر الله ﷻ[5]، كأنّ اتّخاذ هؤلاء سخريًّا استمرّ وتعاظم إلى درجة أن صار سببًا لنسيان ذِكْر الله ﷻ.

السّخريةُ شُغلُهم الشّاغل إلى درجة أن صار سببًا لنسيان الحَقّ

سِرّ اصطفاءِ لفظِ النّسيان مادّةً وصيغةً:

عبّر القرآنُ بلفظ النّسيان في قوله: ﴿أَنسَوْكُمْ﴾، وفي اختياره

(1) الرّاغب، المُفردات: (سخر).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 205.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 129، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 130.
(4) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 2/ 62، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 587، وابن الجزري، النشر: 2/329.
(5) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 591، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 129.

دلالاتٌ باعتبار مادّته وباعتبار صيغته، فأمّا عن مادّته فالنّسيان يُطلَق على عدم تذكُّر شيءٍ كما يُطْلَق على إهماله وتَرْكه، وكِلا المعنيَيْن مقصودٌ في الآية؛ أحدُهما مُترتِّب على الآخر؛ فهؤلاء أهملوا ذِكْر الله ﷻ وتركوه حتّى صاروا لا يَنظرون إليه، فهل سيذكرونه؟ وجاء لفظ النّسيان في صيغة الفعل الماضي ليُشيرَ إلى أنّه حدث بعد أن لم يكن، وأنّهم كان لهم مجال لذِكْر الله ﷻ، إلّا أنّهم باشتغالهم بالسّخرية من هؤلاء تباعدوا عن ذِكْر الله فتركوه[1].

انشغالُ أهلِ الكفرِ بالسّخريّة من أهل الإيمان أنساهم ذِكْرَ اللهِ فأهملوه وتركوه

بلاغة المجازِ العقليّ في ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾:

أُسنِد إنساءُ المُتكبّرين ذِكْرَ اللهِ ﷻ إلى عباد الله المؤمنين، وفي هذا مجازٌ عقليٌّ؛ بذِكْر الشّيءِ وإرادةِ سببه[2]، وفي هذا وجهٌ بلاغيٌّ رائقٌ؛ وهو الإبلاغ في إثبات أنّ الاشتغال بالسّخرية مِن أهل الإيمان يُنسي ذِكْر الله ﷻ، حتّى كأنّ عباد الله صاروا فتنةً لهم، إذ أبعدوهم عن ذِكر الله فتركوه، ولم يكن عبادُ اللهِ هم السّبب في ذلك، كيف وهم يُذَكّرونهم بالحَقّ؟! ولكنّه ذنبُ المُتكبّرين إذ جعلوا ما هو سببٌ لذِكر الله سببًا لنسيانه.

تحوّلُ سببِ التّذكير بالله إلى سببٍ لنسيانه بالسّخرية من أهل الحقّ

فائدة إضافة الذِّكْر إلى ضمير المُتكلّم:

عبّر القرآنُ بلفظ الذِّكْر مُضافًا إلى ضمير المُتكلّم ﴿ذِكْرِى﴾، وفائدة هذه الإضافة هي الإحالة إلى صاحب العقاب؛ أيْ: ذِكْرُ مَن ترجون الآن أن يُجيبَ دعاءَكم ويُخرجَكم من العذاب، وفي تلك الإحالة تقريعٌ لهم أيضًا، إذ تركوا ذِكْرَ مَن لا يُنسى[3].

الذي ترجونه أن يخرجَكم منَ النّار وتنسَونه في رعاية أوليائه هو الله

بلاغة الكناية في ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾:

تحمل عبارة ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ مستوياتٍ منَ المعنى؛ فهي تدلّ

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 158.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 587، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 591، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 129.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 205.

على نسيان ذِكْر الله، وتدلُّ باللّزوم على ترك خوفِ الله[1]؛ على سبيل الكناية؛ فإنّكم لو ذَكرتُم ربَّكم لخِفتُم وعيدَه، ولو خِفتُم وعيدَه لما تجرَّأتُم على أوليائه[2]، وهذا هو المعنى الذي يَربط السّخريَة من عباد الله بنسيان ذِكْر الله ﷻ.

مَـن ذَكـر ربَّـه خـاف وعـيـدَه، ومَـن خـاف وعيدَه لم يسخر من أوليائه

دلالةُ الواو في ﴿وَكُنتُم﴾:

جملة ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ عُطِفت على جملة ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ بالواو؛ وذلك على جهة التّرقّي في تصوير وقاحة أهلِ الكُفر مع أهل الإيمان، فلم يقف أمرُ المُتكبّرين عند حَدّ السّخريَة؛ بل تَعَدَّوه إلى أن يضحكوا من أهل الإيمان[3].

عـطـفُ تـرقٍّ في درجات الوقاحة

فائدة الفعل ﴿وَكُنتُم﴾:

وظّفت الآيةُ فعلَ الكون في قوله: ﴿وَكُنتُم﴾؛ للتّعبير عن موقع فعلِ الضّحكِ فيهم ومنهم؛ وذلك لإبراز أنّ هذا التّصرّفَ كالجِبلّة فيهم أصيلٌ[4]، فطبعُهم الهُزْء، وعادتُهم التّفكّه بغيرهم، ومَن اشتغل بغيره أهمل نفسَه، فكيف إذا كان هازئًا ساخرًا؟! لقد أضاع هؤلاء حياتهم ومآلهم بذلك.

الـهُـزْء جِبِلَّةٌ في هؤلاء المتكبرين

سِرّ تقديمِ الجارّ والمجرور ﴿مِّنْهُمْ﴾ على الفعل:

قُدِّم الجارّ والمجرور ﴿مِّنْهُمْ﴾ على الفعل ﴿تَضْحَكُونَ﴾ في قوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾؛ للدّلالة على تخصيص محلِّ الضَّحك[5]؛ فليس أيُّ ضحكٍ كان، وليس ضحكًا عن أيٍّ كان؛ بل الضَّحكُ من هذه الفئة المُحدَّدة: عباد الله؛ مِمَّا ينبّئ عن سبب الهُزْء والضّحكِ، وهو الإيمانُ بالله ﷻ.

شأنُ أهلِ الكفرِ الـضّـحـكُ من عباد الله خاصّة

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 205.
(2) الشّهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 348.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10169.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 191.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 191.

إيثارُ لفظ ﴿تَضْحَكُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

فليَضحكوا قليلًا وليَبْكوا كثيرًا

أوثِرَ لفظُ الضّحك في قوله: ﴿تَضْحَكُونَ﴾، وفي ذلك دلالاتٌ عديدة، فباعتبار مادّة اللّفظ؛ فالضّحكُ انفراجُ الفَمِ وظُهورُ الأسنان سرورًا، وأيُّ سرورٍ يشعرُ به هؤلاءِ حين يستصغرون عباد اللّه؟ إنّه سرور خيبتهم في حياتهم، فإذا أُضيف إلى ذلك دلالةُ صيغة اللّفظ - أيْ صيغة المضارع - على التّجدّد والاستمرار[1]؛ فهو ضحكٌ بعد ضحكٍ، ومعلوم أنّ الضّحكَ ليس بهيئةٍ غالبة على الإنسان؛ وإنّما السُّرور أنسبُ بمقامه، فإذا غلب عليه الضّحكُ فقد انحطّت منزلتُه؛ لأنّه يضحك فيما لا يَصِحّ الضَّحِكُ فيه[2].

علّةُ فصل جملة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ﴾ عمّا قبلها:

الفصلُ لبيان نتائج الأعمال

فُصِلت جملة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ﴾ عن جملة ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾؛ لبيان ما نتج عنِ الموقفَين، فالجملةُ استئنافٌ لبيان حُسْنِ حالِ المُتّقين من عباد اللّه[3]، وفي الاستئناف معنى التّعليل؛ لإخراس المُخاطَبين في عذاب النّار؛ فالضّحكُ منهم سببٌ في خرسكم في النّار.

بلاغة توكيد الجملة في صدرها، والتّعبير بصيغة ضمير المُتكلّم:

التّوكيد دفعًا لإنكار المُتكبّرين بأنّ إيمانَ عباد الله فيه رجاءٌ وجزاءٌ

صُدِّرت جملة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ﴾ بحرف التّوكيد (إنّ)، والتّعبير بضمير المُتكلّم؛ وذلك لزيادة توكيد المُجازاة؛ دفعًا لإنكار هؤلاء المُتكبّرين أنّ دعاءَ عبادِ اللّه باطلٌ لا مجيبَ له، بل إنّ اللّه يُجازيهم لا أحدَ غيره.

سِرّ التّعبير بالجزاء مادّةً وصيغةً:

جزاءٌ مكافئٌ كافٍ وثابتٌ مُتحقّقٌ

عبّرتِ الآيةُ الكريمة بلفظ الجزاءِ في قوله: ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾، وفي اصطفاء هذا اللّفظ سِرٌّ بديعٌ؛ فأمّا من حيثُ مادّته فالجزاء هو ما

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 234.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5124.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 268.

يقابل الجهْد والعمل والموقف[1]، وهو مقابلٌ مكافئٌ له مناسب، فإذا آمن هؤلاء وثَبَتوا ضِدّ كلّ ذلك الهُزْء والمعارضةِ؛ فإنّ مقابلَ ذلك جزاءٌ عظيم يُكافِئ جَهْدَهم ويناسبُه، ومن حيثُ صيغة الفعل (جزى) فقد جاء بصيغة الماضي ليَدُلّ على تحقّقه؛ أيّ إنّه كائنٌ لا محالةَ[2]؛ لأنّه كلامُ الباري الذي لا ماضي له ولا مستقبل، فالكلّ عنده حاضر.

فائدة الظّرفيّة في الآية:

ذُكر الظَّرف ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾؛ وفائدةُ ذلك الإحالةُ إلى يوم الخطاب، وهو عذاب المُتكبّرين في النّار؛ أيّ في الوقت الذي تكونون فيه في الجحيم، يكون هؤلاء الذين كنتم تتخذونهم سخريًّا في نعيمٍ مقيمٍ ورضوانٍ من اللّه تعالى، ينظر إليهم، ويكلمهم، ويزكيهم[3]، وهذا مِن شأنه أن يزيد في إيلام هؤلاء الكفّار أهلِ النّار.

اليومُ الذي يُعذَّب فيه المجرمون هو يومُ جزاءِ أهلِ الإيمان بالنّعيم

دلالةُ الباء ودخولُها على الصّبر خاصّة، ومجيئُه بصيغة الماضي:

أخبر اللّهُ تعالى أنّه في يوم الفصل يُجازي أهلَ الإيمان بصبرهم فقال: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾؛ فجاء التّعبير عن ذلك بحرف الباء، وهي الباءُ السّببيّة؛ أيّ: بسبب صبرهم نُجازيهم[4]، ففي هذا اعتدادٌ بصبرهم، وتفخيمٌ له، كما أنّ مجيء فعلِ الصّبر بصيغة الماضي؛ للدّلالة على حدوث الصّبر منهم وتحقّقه، فبتَحقُّقِه يتحقّق الجزاءُ، وفي ذِكْر الصّبر سببًا للجزاء إدماجٌ للتّنويه بالصّبر؛ فهو تنبيهٌ على أنّ السّخرية من عباد اللّه ولّدت فيهم الصّبرَ الذي أكسبهم وافرَ الجزاء[5].

بسبب صبرهم نالوا الجزاء، وبتَحَقُّق صبرِهم تحقّق الجزاءُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 191.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 234.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5125.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 591، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 234.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 130.

دلالةُ حذفِ متعلّق الصّبر:

جزاءُ الصّابرين للصّبر ذاتِه

وعند ذِكْر الجزاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ حُذِفَ متعلّق الصّبر؛ والغرضُ من حذفه أن يتعلّق الجزاءُ بالصّبر ذاته، فجوانبُ الصّبر كثيرة، كالصّبر على العبادة، وكالثّبات على الحَقّ، وكالتّحمّل لأذى الخَلْق، فالصّبر يعمُّها كلَّها[1]، وبه يكون الجزاء.

موقع جملة ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بفتح همزة ﴿أَنَّهُمْ﴾ وكسرها:

كيف هو هذا الجزاء؟ وبماذا؟

أُردِفت جملةُ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ بجملة ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾، وقد قرأ بكسر الهمزة ﴿إِنَّهُمْ﴾ حمزةُ والكسائيّ، وقرأ الباقون ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتحها[2]، وموقع الجملة بفتح (أنّ) المصدريّةُ والتّأكيد؛ أيْ: جزيناهم بأنّهم هم الفائزون[3]، وعلى هذه القراءة حُذِفَ حرفُ الباء؛ للإشعار بقوّة تسبُّب صبرِهم في فوزهم؛ فمِثْلُ صبرِهم يُؤدّي إلى ذلك الفوز لا محالة، وأمّا على قراءة الكسر فالجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لتفخيم هذا الفوز وتعظيمه، وهذا مبنيٌّ على أنّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ يُحَرِّك للسّؤال عن مناط جزائهم وحقيقته، فكانت جملة: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ جوابًا عن ذلك السّؤال[4]، وفي كِلتا القراءتَيْن يظهر تحقيقُ معنى الفوزِ؛ دفعًا لأيّ شكٍّ وريبة في ذلك، فالذي يرى حالَهم في الدّنيا قد يَريبُه أنّ مآلهم الفوزُ؛ والمُتكبِّرون في تَرفٍ ومتعَةٍ، وهؤلاء في ضيق وشِدّة، فلا ترتابوا في ذلك فهؤلاء هم الفائزون، فيكون بين الجملتين كمال الاتصال على قراءة الفتح، وشبه كمال الاتصال على قراءة الكسر.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 96.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/329.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 130.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 298.

بلاغة ضمير الغائبين ﴿هُمُ﴾:

قَصْرُ الفوزِ على عباد الله دون هؤلاء المُتكبّرين

استُعمل في بيان هذا الجزاءِ ضميرُ الغائبين ﴿هُمُ﴾، والمَقْصِد منه تخصيص عبادِ الله بالفوز، فأولئك هم الفائزون خاصّةً[1]، فالفائزون يومَ الحسابِ هم هؤلاء لا أنتم[2]، وهو من القَصْر الإضافيّ[3]؛ لأنّ حصر الفائز هنا هو في سياق خطاب المُتكبّرين هو للإغاظة لهم أيضًا.

إيثار لفظ ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الفائزون هم النّاجون والظّافرون بمُرادهم دونَ غيرهم

آثَرَ النّظمُ الكريم لفظَ الفوز في قوله: ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾، وفي إيثاره دلالاتٌ عديدة؛ فمن حيثُ مادّة اللّفظ؛ فالفوز يَدُلّ على معنى النّجاة والظّفر بالمُراد[4]، فدلّ ذلك على أنّ عباد الله قد نجحوا في الخير، فحَقَّقوا مُرادَهم، والفوزُ الأعظم هو فوزُ الآخرة، كما دلَّ أيضًا على أنّهم نَجَوا ممّا حاق بالمُتكبّرين، ومن نجا مِن ذلِكُم العذابِ فتِلْكُمُ النّجاةُ الحقيقيّة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]، وأمّا من حيثُ الصّيغةُ فقد جاء لفظ ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بصيغة الاسم؛ ليَدُلَّ على الثّبوت؛ فهم مَن يَحِقّ لهم الفوزُ الدّائم الثّابت[5]، وهم الفائزون حقًّا وبلا منازع.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السِّخْريّة والسُّخريّة:

الاشتراكُ في الدّلالة على التّسخير، وخصوصيّة السُّخريّة في الاستهزاء

تتداخل (السِّخريّة) و(السُّخريّة) في أصل المعنى، وهو الخِفّة والانقياد بيُسر دونَ مقاومة[6]، ثمّ يظهر الاختلاف في المعنى بين

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 96، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 191.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 130.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 235.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 192.
(5) الشّهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 348.
(6) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (سخر).

الاستهزاء والازدراء، ومصدرهُ السَّخَر، وبين الخِدمة، ومنه تسخير الإنسان للحيوان، ومصدرُه السُّخْرَة، ولئنِ اختلف المعنى والمصدر؛ فإنّ ما يُميِّز بينَ اللّفظيْن هو دلالة لفظ (السُّخريّة) على المَعنييْن؛ أي: التّسخير والاستهزاء، واختصاصُ لفظ (السِّخْريّة) بمعنى الاستهزاء وحْدَه[1].

النّسْيان والترك:

إذا كان التّركُ معنًى من معاني النّسيان[2]، فليس كلُّ نسيانٍ تركًا ولا كلُّ تركٍ نسيانًا، فالتّركُ قد يكون بغير قصدٍ، وقد يكون بقصدٍ مع استحضار الذّهنِ واستذكارٍ كامل، والنّسيان قد يكون لغفلةٍ وسَهْو[3]، دونَ أن ينتُج عنه أثرُه، وهو الخطأ أو التَّركُ، وقد يكون لإهمالٍ مقصود، فيكون التّركُ في الأخير؛ فالتّرك لا يَنتُج دومًا عن نسيان.

الغالب في التّرك القصدُ، والغالب في النّسيان السّهو

الضَّحك والابتسام:

أُخِذَ السُّرورُ منَ السِّرّ خِلاف الجَهر؛ وهو انشراحٌ في الصَّدر يُعَبِّر عنه المَظْهَرُ[4]، ويَظهر في صور متعدّدة كالبِشْر والتَّبسُّم، والضَّحِكُ مظهرٌ من مظاهر السُّرور، إلّا أنّه قد يكون للسُّرور، وقد لا يكون ثَمَّةَ سرورٌ ويكونُ الضَّحكُ، فالضّحِكُ قد يكون للسّخرية، وقد يكون للتّعجّب المُجرّد[5]، فالضّحِكُ مظهرٌ يُعَبِّر عن المخْبَر، والسُّرور حالةٌ من حالات المَخبَر، ويظهر في صورة التَّبسُّم.

الضَّحكُ مَظهرٌ يُعَبِّر عن المَخْبَر، والسُّرورُ حالةٌ من حالات المَخْبَر

(1) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 2/ 62، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 587.
(2) الرّاغب، المُفردات: (نسي).
(3) الرّاغب، المُفردات: (نسي).
(4) الرّاغب، المُفردات: (سرر).
(5) الرّاغب، المُفردات: (ضحك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»